مِن أجل ثقافة شيعية أصيلة

قُرآنُنا

عبدُ الحليم الغِزّي

منشورات موقع زهرائيون

قُـرآنُنـــا

برنامج تلفزيوني عرضته قناة المودّة الفضائية

في تسعة وعشرين حلقة وبطريقة البث المباشر

ابتداءاً من تاريخ : 13 / 03 / 2010

يـــا زهـــــراء

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلي على مُحمَّدٍ وآلِ مُحمَّد وعَجل فَرَجَهُم والعن أعدائهم

اللَّهُمَّ صَلي على فَاطِمَة وأبيها وبَعلِها وبَنيها والسرِّ المُستَودعِ فيها

الحلقة التاسعة

تفسير سورة البقرة من الآية ٦٢ الى الآية ٧٣

السلامُ عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاتهُ وهذه هي الحلقة التاسعة من برنامج قُرآننا، لا زلنا في سورة البقرة المباركة وكان آخر الحديث في الحلقة الماضية في الآية الحادية والستين، نشرع اليوم في الآية الثانية والستين من سورة البقرة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ .

الآية هذه هي في سياق وفي جملة الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل ولا زالت الآيات في سورة البقرة متواصلةً للحديث عن وقائع مختلفة من تأريخ ومن حياة بني إسرائيل ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ هناك أربع مجموعات أو أربعة أصناف ذُكرت في هذه الآية الذين آمنوا، الذين هادوا، النصارى، الصابئين ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ المراد هنا الذين آمنوا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم ﴿وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾ هم اليهود ﴿والنَّصَارَى﴾ هم النصارى المسيحيون ﴿وَالصَّابِئِينَ﴾ الصابئون وقع اختلافٌ كبير بين المفسرين من المراد من الصابئين ولا أريد الدخول في اختلافات المفسرين، هناك من قال أن الصابئين هم المندائيون الذين توجد بقاياهم الآن في العراق وهناك من قال أن الصابئين هم طوائف من الوثنيين غير هؤلاء الذين يعيشون في العراق وهناك وهناك، الذي يبدو من تتبع كتب التفسير وحتى من خلال الروايات والأخبار ذكر الصابئين هنا إشارة إلى بقية الأديان السماوية التي بقيت لها بقايا وآثار في الأرض. فهناك طائفة الذين آمنوا وهم الذين آمنوا بِمُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله والذين هادوا والنصارى والصابئين الآية كأنها تريد أن تشير إن التسميات ليست مهمةً ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ﴾ هؤلاء اسمهم المؤمنون ﴿وَالَّذِينَ هَادُواْ﴾ اسمهم اليهود ﴿والنَّصَارَى﴾ اسمهم النصارى أو المسيحيون والصابئون كذلك، هذه مجموعات من الناس كل مجموعة لها اسمها الخاص وقطعاً هذه التسمية لها سبب تأريخي ولها سبب عقائدي

وفكري هذه المجموعات من البشر على اختلاف مشاربها وأذواقها الفكرية القرآن هكذا يتحدثُ عنهم ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ يعني أن هذه المجموعات الأسماء والتسميات والتصنيف على أساس الفِرَق والمذاهب والأديان ليس هو الذي سيكونُ سبباً وسبيلاً للنجاة وإنما النجاة تكون في هذه الشرائط التالية: ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ والأجر هو الثواب والجزاء ﴿وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ لا خوفٌ عليهم يوم القيامة ولا هم يحزنون مما يلقاهُ الذين ضلوا وابتعدوا عن جادة الصواب.

هذه الآية بشكلٍ عام هناك كلامٌ كثيرٌ بخصوصها وأنا سأختصرُ المقال هناك من المفسرين من قال بأن المراد من الذين هادوا والنصارى والصابئين الذين آمنوا حينما كانت دياناتهم غير منسوخة يعني الأوائل منهم يعني الذين هادوا قبل نزول المسيح والنصارى قبل نزول الديانة المحَمَّدية، مرادي قبل نزول المسيح قبل نزول الديانة المسيحية باعتبار أن الآية تتحدث عن أن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين أيُّ طائفة من هذه الطوائف إذا آمنت بالله وباليوم الآخر وعملت صالحاً فلها أجرها عند ربها وهذا يعني أنهم جميعاً على هدى وهذا خلاف الأصول الثابتة في قضية نسخ الأديان فلذلك ذهبَ جمعٌ من المفسرين إلى أن المراد بهؤلاء الذين ذُكروا هم المجموعات الأولى التي آمنت بدينها وعملت صالحاً قبل أن تُنسخ أديانها وهناك من قال بأن هذه الآية نزلت لغرضٍ مُعين ثم نُسخت، نُسخت بآيات أخرى كما نُسخت مثلاً بالآية ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ﴾ أو بالآية الشريفة ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وغير ذلك وقد اختلفت أقوال المفسرين أنا هنا لن أطيلَ الكلام في هذه النقطة وإنما أذهبُ مستقيماً إلى ما جاء في روايات أهل البيت، ما جاء في روايات أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ في مستقبل أيامهم بعد أن جاء الدينُ الحنيف بعد أن جاءت العقيدةُ الحقة بعد أن جاء إسلامُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وهذا المعنى يستقيم بسهولةٍ جداً ولسنا بحاجةٍ إلى ناسخٍ ومنسوخ ولسنا بحاجةٍ إلى ابتعادٍ عن سياق ألفاظ الآية الشريفة ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَالَّذِينَ هَادُواْ وَالنَّصَارَى﴾ الذين هادوا اليهود والنصارى هم النصارى والصابئين من أي ديانةٍ أخرى من الديانات ﴿مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً﴾ في مستقبل أيامهم بعد نزول العقيدة الحقة ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ وهذا

يتناسب مع سياق الآيات التي تتحدث عن بني إسرائيل باعتبار أن الآيات التي بين أيدينا تُطالبُ بني إسرائيل تُطالبُ اليهود الذين كانوا يعيشون في زمان النبي صلى الله عليه وآله في المدينة وما حول المدينة تطالبهم بالإيمانِ بالنبي مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم فبهذا المعنى يستقيم تستقيم الصورة بشكلٍ كامل فجاء هنا ذكرُ النصارى وذكر الصابئين لبيان قاعدةٍ عامة في الحساب الأخروي يوم القيامة فجاءت الآية صريحةً ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ﴾ إذا ما آمنوا بِمحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وفقاً لِمَا جاء في دينهِ إيمانٌ بالله وباليوم الآخر وكذلك الإتيانُ بالعمل الصالح ﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ الخطاب لا زال لبني إسرائيل والخطاب لليهود الذين هم في زمان مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ هذه الأحداث وهذه الوقائع حدثت في زمان النبي موسى عليه السلام ولكن تلاحظون بأن الخطاب في الكتاب الكريم لنفس اليهود الذين عاشوا في زمان نبينا صلى الله عليه وآله وسلم وكأن الأحداث هذه حدثت في زمان النبي صلى الله عليه وآله وقد بينتُ السبب في ذلك قلتُ بأن اليهود هم الأُمَّة التي كُلِّفت بالاعتقاد بنبينا وآلهِ الأطهار بشكلٍ واضح وبشكلٍ صريح وهذا هو سبب تفضيلهم على بقية الأمم بينتُ هذا المعنى في الحلقات الماضية ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ والميثاقُ هو العهد، العهدُ بأيّ شيءٍ؟ العهدُ بطاعة الله وبطاعة نبيهم موسى وبطاعة نبيهم هارون وإنما طاعة الله وطاعة موسى وهاورن بالاعتقاد بنبوة محمَّدٍ وبولاية عليٍّ وآل عليٍّ كما مرَّ علينا في الروايات وقد مرت الإشارة إلى ذلك في الآية الثالثة والخمسين من سورة البقرة ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ هناك كتابٌ وهناك فُرقان أما الكتاب فهو التوراة وأما الفرقان فهو ذلك الكتاب المخصوص بذكر مُحَمَّدٍ وآل محمَّد ورد في الروايات عن الأئمة الأطهار أن الله سبحانه وتعالى أنزل كتاباً على موسى هذا الكتاب كتابٌ مخصوص بتكليف بني إسرائيل بالاعتقاد بنبوة مُحَمَّدٍ وبولاية عليٍّ وآل علي والآية هنا تتحدث عن الكتاب والذي يُتبادر منهُ هو التوراة وتتحدث عن كتابٍ آخر وهو الفرقان إذا أردنا أن نجمع بين تلكم الروايات، الروايات التي قالت بين الرواية التي قالت إن الله أنزل على موسى كتاباً مخصوصاً بذكر محمَّدٍ وآل مُحَمَّد إذا جمعنا بين هذه الرواية وبين هذه الآية وقلنا بان الكتاب المذكور هو التوراة فإن الفرقان سيدلُ على ذلك الكتاب المخصوص الذي جاء فيه ذكرُ مُحَمَّدٍ وآل محَمَّد ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ متى كان هذا؟

حينما ذهب موسى لميثاق ربهِ لميقات ربه لَمَّا ذهب لميقات ربه وأخذ معه جمعاً من بني إسرائيل ومرَّ الحديثُ عن بعض وقائع الميقات ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ﴾ الطور هو الجبل، لَمَّا ذهبوا مع موسى وأراد موسى أن يأخذ منهم الميثاق فإنهم ما أذعنوا القضية فيها صعوبة ما هي هذه الصعوبة؟ الصعوبة أن بني إسرائيل ما كانوا يجدون في قلوبهم إذعانٌ لبني عمومتهم لأولاد إسماعيل وأن موسى يريد أن يأخذ عليهم ميثاقاً لولد إسماعيل فلذلك كانت القضية عسيرة عليهم، فبنو إسرائيل ما كانوا يُذعنون في قلوبهم لبني إسماعيل ولقومٍ من بني إسماعيل سيأتون في آخر الزمان لذلك كانت القضية عسيرة على قلوبهم ومن هنا فإن الله سبحانه وتعالى أراهم هذه الآية، أيَّةُ آية؟

الله سبحانه وتعالى وبإرادةٍ من موسى سلسلة جبلية بكاملها رُفعت من الأرض ووقفت فوق رؤوسهم تكاد أن تقع على رؤوسهم في الروايات أن هذه القطعة من الأرض كانت فرسخاً في فرسخ، الفرسخ بالحساب المعاصر الآن يعني خمسة كيلو متر، يعني خمسة كيلو متر في خمسة كيلو متر هذه القطعة من سلسلة جبلية هائلة رُفعت من الأرض وبقيت مُعلقة في الهواء بين السماء وبين الأرض موسى قال لهم إن لم تؤمنوا وتُعطوا الميثاق فإني سَأُنزِل عليكم هذا الطور هذا الجبل، آية معجزة واضحة كبيرة جداً هل لنا أن نتصور كيف كانت هذه الصورة قطعة أرضية جبال، سلسلة جبلية فرسخ في فرسخ ترتفع من على وجه الأرض أمام أعينهم وتبقى مُعلقة في الهواء فوق رؤوسهم وموسى عليه السلام قال لهم إن لم تؤمنوا فإني سأوقع هذا الجبل على رؤوسكم فحينها أعطوا الميثاق، أعطوا الميثاق خوفاً ورهبةً وهم يصطرعون فيما بينهم وبين أنفسهم والروايات تقول إنهم أعطوا الميثاق ليس كلهم عن إيمانٍ وعن اقتناع فسقطوا خوفاً على وجوههم سجوداً وعَفّروا وجوههم في التراب لكن ليس كل الذين سقطوا سجوداً على التراب كانوا قد آمنوا وأيقنوا بالذي أمرهم به موسى عليه السلام وإنما البعضُ منهم والآية تتحدثُ عن هذه الواقعة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم﴾ ما آتيناكم من أي شيءٍ؟

ما آتيناكم من كتابٍ ومن فرقان ما آتيناكم من عقيدةٍ ومن دين ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ اسحاق بن عمار يسأل الإمام الصادق عليه السلام قال هذه القوة يا ابن رسول الله قوةٌ في الأبدان أو قوةٌ في القلب، في القلوب؟ قال جميعاً ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ بقوة الأبدان وبقوة القلوب أي أبذلوا أبدانكم للوفاء بهذا الميثاق واجعلوا قلوبكم صادقةً مطمئنةً بهذا الميثاق ولذلك الوفاء لأهل البيت الوفاء لِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد يحتاجُ إلى قوةٍ في القلوب وإلى قوةٍ في الأبدان أن تُبذل الأبدان لأجل مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وأن تُبذل القلوب

لأجل محمَّدٍ وآل محمَّد ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ اذكروا ما في هذا الميثاق اذكروا ما في هذه العقيدة اذكروا ما في هذا الكتاب الذي أنزلهُ ربكم عليكم ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لعلكم تتقون إما المراد لعلكم تتصفون بالتقوى في هذه الحياة الدنيوية أو لعلكم تتقون عذاب الله أو لعلكم تتقون سخط الله في يوم القيامة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ فهناك نقاشٌ كلامٌ بين موسى وبين الذين اختارهم من بني إسرائيل فلَمَّا عَرَضَ عليهم الميثاق شَكّوا ولم يقبلوا بما طرح عليهم فرفع لهم قطعةً من الجبال قطعةً من الأرض كادت أن تسقط على رؤوسهم وقال لهم إن لم تؤمنوا وإن لم تعطوا ميثاقكم فإني سأُسقط الجبل على رؤوسكم فَخَرُّوا سُجداً يُعفِّرون وجوههم في التراب والآية هنا تخاطبهم إنكم قد أُخِذَ عليكم الميثاق وعليكم الوفاء بهذا الميثاق بأبدانكم وبقلوبكم ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ﴾ بقوة الأبدان وبقوة القلوب ﴿وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ اذكروا ما في هذا الميثاق ولا تُعرِضوا عنه لا تغفلوا عنه اجعلوا ابدانكم وقلوبكم في خدمة هذا الميثاق ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لكن ماذا فعلوا؟ ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ هذه الحالة النفسية الموجودة عندهم لا تجعلهم يذعنون لا تجعلهم يُسلِّمون لنبيهم ولِمَا أراد منهم ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ﴾ توليتم أعرضتم ما وفيتم بقلوبكم وبأبدانكم لذلك الميثاق.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ولكن الله سبحانه وتعالى يعفو عنكم ويغفر لكم ويُجدد لكم إقامة الحُجج وأنتم نفس الشيء تُكررون ولكن الله أخذكم بفضلهِ وبرحمتهِ وفتح لكم أبواب التوبة وأبواب الهداية لعلكم تؤلون وتؤبون إلى العاقبة الحسنى ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ من الخاسرين الذين خسروا الدنيا وخسروا الآخرة وقطعاً كان فيهم من الناجين وكان فيهم من الخاسرين قبل قليل قلتُ بأن الذين سقطوا على الأرض سُجّداً يُعَفِّرون وجوههم في التراب بعد أن رفع موسى فوقهم الطور ما كانوا بأجمعهم من الصادقين في ميثاقهم كان هناك جمعٌ منهم صدقوا في الميثاق وأولئك هم من الناجين وكان هناك جمعٌ منهم ما صدقوا تولوا بعد ذلك.

﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ﴾ الرحمة معناها واضح والفضلُ هو الإحسان فلولا أن أحسن الله إليكم لأن الإحسان إنما هو إعطاءٌ من دون استحقاق، الفضل أن الله سبحانه وتعالى أعطاهم

من دون استحقاق وإنما ذاتهُ هي ذاتُ الرحمة وذات الفضل ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ الآية التي بعدها ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ وهذه القضية معروفةٌ في تأريخ بني إسرائيل، يوم السبت هو يوم عطلتهم يوم السبت هو اليوم الذي نزلت فيه الأحكام عليهم أن يعطلوا أعمالهم، يوم السبت يوم فيه طقوس ومناسك خاصة لليهود ولا زال إلى يومنا هذا لا زال اليهود إلى اليوم عندهم طقوسهم ومناسكهم وعباداتهم الخاصة في يوم السبت فكان يحرَّمُ عليهم العملُ في يوم السبت ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ﴾ .

الآيات السابقة لو نُدقق النظر فيها، الآية السابقة ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ الكلام لمن؟ لليهود الذين هم في زمان رسول الله ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ بينما قضية السبت ليس فيها خطاب للذين كانوا في زمان رسول الله ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ﴾ إلى مجموعة بينما الميثاق كان الخطاب فيهِ للكل ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ﴾ أيها اليهود الذين كنتم في زمان مُحَمَّد وإن كانت الواقعة في زمان موسى لكن لأن التكليف هو التكليف، التكليف بنبوة مُحَمَّدٍ وبولاية عليٍّ وآل علي هو نفس التكليف في زمان موسى وفي زمان بعثة مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله أما حادثةُ يوم السبت فتلك حادثةٌ وقعت قام بها البعضُ من اليهود ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ كلمة السبت في اللغة السبت سَبَتَ الشيء يعني هدأ واستقر ونام ويُقال سبات السُبات والسِبات هو النوم، فيوم السبت هو اليوم الذي يسبتون فيه يتعطلون عن أعمالهم وهناك مناسك وأحكام وتكاليف خاصة بهم.

بحسب الروايات الموجودة عندنا كانت هناك مدينة من مدن بني إسرائيل حاضرة على البحر على ساحل البحر وكان أكثرُ أعمالهم في صيد السمك الروايات تقول بأنهم في سائر أيام الأسبوع تكون الأسماك قليلة لكن في يوم السبت الأسماك تكون كثيرة حتى في بعض الروايات أن الأسماك تكاد تكون طافية على سطح الماء بحيث يمكن أن تُمسك بالأيدي ويوم السبت يمنعُ عليهم الصيد لأنه يجب عليهم أن يُعطِّلوا أعمالهم فماذا يصنعون؟ عندنا في بعض الروايات أنهم كانوا هكذا يفعلون: كانوا ينزلون إلى الماء ويربطون هذه الأسماك بخيوط لا يخرجونها من النهر حتى لا ينطبق عليهم معنى الاصطياد بحسب تصورهم هم فكانوا يربطون الأسماك بخيوط وتبقى هذه الأسماك مربوطة بالخيوط يوم السبت إلى أن يأتي اليوم الثاني يوم الأحد فيسحبون هذه الخيوط ويخرجون الأسماك وفي رواية عن الإمام الحسن العسكري صلوات الله وسلامه عليه

الإمام يقول بأنهم خدّوا أخاديد حفروا سواقي حفروا سواقي من البحر أين أوصلوا هذه السواقي أوصلوها إلى برك هناك مجموعة من البرك بحيرات صغيرة أحواض في البداية صنعوا أحواض وربطوا بين البحر وبين هذه الأحواض بسواقي فتحوا أخاديد بحيث أن مياه البحر مع هذه الأسماك كما قلتُ قبل قليل أنهُ في يوم السبت الكميات كبيرة من الأسماك تأتي فتدخل الأسماك في هذه الأخاديد تصل إلى الحياض إلى الأحواض إذا وصلت إلى الأحواض فهم قد صنعوا الأحواض بطريقةٍ لا تتمكن الأسماك أن تخرج من الأحواض فتعود إلى البحر فكانوا يفتحون هذه الأخاديد يوم السبت فتدخل الأسماك فتصل إلى تلكم الأحواض يوم الأحد يأتون فيُخرجونها من هذه الأحواض بسهولة وهذا كان مخالفةً للحكم الشرعي، للأحكام الشرعية التي كُلِّفوا بها لكنهم احتالوا عليها بهذه الحيلة وكما في الروايات أن هذه المدينة كان يسكن فيها أكثر من ثمانين ألف الأكثرية منهم كانوا يقومون بهذا العمل كانت هناك قلة قليلة منهم لا تقوم بهذا العمل وإنما كانوا يأمرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر وكانت مجموعة أيضاً أخرى لا تقوم بنفس العمل بقضية الاحتيال على الحكم الشرعي لكنهم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر.

تكرر هذا الأمر في هذه المدينة، الله سبحانه وتعالى أنزل غضبهُ على هذه المدينة طبعاً قبل أن ينزل الغضب هؤلاء الذين كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر كان عندهم علم كانوا يعرفون إن الله سبحانه وتعالى سوف ينزل سخطه لذلك خرجوا بعوائلهم وأُسَرِهم وبنوا لهم بيوتاً خارج المدينة خارج أسوار المدينة، المدينة كانت مسورة خرجوا إلى خارج أسوار المدينة فبنوا لهم بيوتاً واستقروا خارج المدينة، نزل العذاب نزل السخط على بني إسرائيل فمسخهم الله قِرَدة جميع من بقوا في المدينة الذين كانوا يقومون بعملية الاحتيال والذين لم ينهوهم ما قاموا بعملية الاحتيال على الحكم الشرعي ولكنهم لا أمروا بمعروف ولا نهوا عن المنكر فتحولوا إلى قِرَدة مَسَخَهُم الله، المسخ هو التحول من الحالة الإنسانية إلى حالة حيوانية تغير في الخلقة البشرية فجعلهم الله قردة رجالاً ونساءً لم تُفتح أبواب المدينة في اليوم الثاني لم يخرج الصيادون كالعادة، ما الذي جرى؟! الناس يأتون قريباً من أبواب المدينة يسمعون أصوات، أصوات غريبة ليست أصواتاً بشرية فتسلق البعض منهم فرأوا أن المدينة كل المدينة قردة يتقافزون من هنا ومن هناك ينطّون من هذا المكان إلى ذلك المكان، وصل الخبر إلى القرى والمدن المجاورة فجاء الناس أجمع صعدوا على أسوار المدينة فرأوا أن المدينة بكاملها قردة لكنهم كانوا يميزون أقاربهم فيسألون هذا القرد يقولون لهُ أنت فلان؟ ويسألون تلك القردة يقولون لها أنتِ فلانة؟ فيهزون رؤوسهم بالإيجاب وتدمع عيونهم عيون القردة، هكذا وصفت الروايات هذا المشهد وصفتهُ الروايات عن أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

نحن عندنا في روايات أهل البيت أن المسوخ لا تبقى أكثر من ثلاثة أيام لذلك في اليوم الثالث الله سبحانه وتعالى أرسل ريحاً عاصفاً وأمطار ومياه شديدة فأخذت المدينة بكاملها وسقطت في البحر، هذه قصة

أصحاب السبت التي أشارت إليها الآية الشريفة ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا ﴾ اعتدوا اعتداء على حرمات الله، الاعتداء هو الخروج على أحكام الله ﴿ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ قِرَدة خاسئين قِرَدة مُبعدين، الخاسئ هو المبعَد، المُبعد هو الحقير، يُقال له إخسئ يعين إبعد كن بعيداً عن المكان الشريف عن المكان المناسب ﴿ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴾ القِرَدةُ الخاسئين الخاسئ هو المبعد عن المكان الشريف.

﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ جعلناها نكالاً، نكالاً كما في رواية الإمام العسكري عليه السلام عِقاباً وردعاً وهو بيان دقيق للكلمة حينما راجعتُ كتب اللغة في معنى نكال لم أجد بياناً موجزاً ومختصراً كالبيان الذي جاء بهِ الإمام العسكري عليه السلام، كتب اللغة ذكرت تفصيلات وشرحاً لهذه الكلمة لكن أوجز كلام جاء في كلمة الإمام الحسن العسكري قال نكالاً قال عقاباً وردعاً، عقاب لأولئك الذين مُسِخوا وردعاً للذين بقوا من القرى والمدن الأخرى الذين رأوا هذه الآية بأم أعينهم ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا ﴾ يعني للمدن القريبة منها هناك مدن قريبة منها حينما يكون الشيء بين يدي الإنسان يكون قريباً منه مُلاصقاً لهُ ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ المدن التي هي أبعد ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً ﴾ عِبرةً عقاباً وردعاً، عبرةً لِما بين يديها للمدن القريبة ﴿ وَمَا خَلْفَهَا ﴾ للمدن البعيدة ﴿ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ المتقون من هم؟ أولئك الذين خرجوا من المدينة وسكنوا خارج المدينة أولئك الذين أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ومن هنا تتجلى لنا الحقيقة أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو سببُ نجاة هؤلاء، أما أولئك الذين ما قاموا بنفس الذي قام بهِ أصحاب السبت لكنهم ما نهوا قومهم عن المنكر ولا أمروا بالمعروف فكان جزاءهم كجزاء قومهم وهذه القصة إنما يوردها القرآن الكريم في خطابهِ لبني إسرائيل يريد أن يقول لهم إنكم تحبون أسلافكم وتسيرون على مسيرتهم أسلافكم لم يفوا بميثاق العقيدة لنبوة مُحَمَّدٍ وولاية عليٍّ وآل علي أنتم على نفس هذا الطريق فإن عاقبة أمركم كعاقبة أولئك الذين مُسخوا قِرَدة لأنهم ما نهوا قومهم، الذين نهوا قومهم خرجوا من المدينة فوصفهم القرآن بالمتقين ﴿ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ * وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً ﴾ الخطاب هنا أيضاً ليس كالخطابات السابقة كما في الخطاب ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ ﴾ .

الحديث حينما يكون عن الميثاق يكون الخطاب مباشرةً للذين كانوا في زمان رسول الله صلى الله عليه وآله، الحديث هنا عن قصة أخرى عن واقعةٍ أخرى من وقائع ومن أحداث بني إسرائيل، القصة هكذا تقول، الروايات هكذا حدَّثتنا الروايات تقول: كان هناك ثلاثة من أبناء العمومة أبناء عم ثلاثة أحدهم يكون ابن عمٍّ للآخر وكانت لهم أبنةُ عم وأبنة عمهم هذه كانت امرأة جميلة وكانت ذات مالٍ تملكُ مالاً كثيراً فخطبوها الثلاثة خطبوا أبنة عمهم هذه المرأة الجميلة الفاتنة الغنية الثرية فردت اثنين وقبلت أحدهم فهؤلاء الاثنان مُلِئوا غيضاً وحقداً وكمداً على ابن عمهم هذا الذي وافقت عليهِ وقبلت به أبنة عمهم هذه المرأة الجميلة فخططوا له مخططاً كادوا لهُ كيداً ودعوهُ أن يأتي عندهم فقتلوه، الاثنان اشتركا في قتلهِ إلى أن حان وقتُ الظلام فحملا جثتهُ وألقوها في حي مزدحم من أحياء بني إسرائيل قبيلة كبيرة من قبائل بني إسرائيل جاؤوا خلسةً في الليل فألقوا بجثة ابن عمهم الذي قتلوه في وسط ذلك الحي وعند الصباح جاؤوا يبحثون عن ابن عمهم فوجدوه قتيلاً فمزقوا ثيابهم وحثوا التراب على رؤوسهم وكانت جريمة القتل في بني إسرائيل لها عقوبة شديدة والدية عليها دية عظيمة فرفعوا أمرهم إلى النبي موسى عليه السلام.

والقصة فيها تفصيل أنا لا أريد أن أدخلَ في كل تفصيل القصة لأنهُ قد حدث جدلٌ فيما بين موسى وفيما بين تلكم القبيلة من قبائل بني إسرائيل لأن النبي موسى طالبهم بالأيمان وطالبهم بالدية وحدث كلام فيما بينهم إلى أن وصل الأمر أن بني إسرائيل طلبوا من موسى، طلبوا من موسى أن يطلب من الله أن يكشف الحقيقة فنزل الأمر الألهي أن اذبحوا بقرة فتعَجَّبَ اليهود! نحنُ يا نبي الله نقول لك هذا الميت نريد أن نعرف حقيقة ما جرى عليه ومن قتله وأنت تقول لنا اذبحوا بقرة! فقال لهم اذبحوا بقرة وبعد أن تذبحوها أضربوه ببعضها فإنهُ سيرجعُ حياً فسائلوه عن قاتله، قالوا وهذا أعجب من الأمر الأول إذا ذبحنا البقرة ماتت فنأخذ بعضاً من البقرة نأخذُ شيئاً ميتاً فنضربُ به ميتاً فكيف يعودُ إلى الحياة؟ قال هذا هو أمرُ الله، تلاحظون أن وقائع بني إسرائيل وأحداث بني إسرائيل دائماً يكون المحك فيها هو التسليم لماذا؟ التسليم لأن التسليم تكون فيه مخالفة لرغبات الإنسان والإذعانُ بنبوة مُحَمَّدٍ وبولاية عليٍّ وآل عليّ كان خلافاً لرغباتهم لأنهم ما كانوا يحبون أولاد عمومتهم من بني إسماعيل على أي حالٍ نحن والقصة نحن والواقعة.

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ يعني أنت تستهزئُ بنا تلاحظون أن خطابات بني إسرائيل بعيدة عن الأدب مع أنبيائهم وهذا على طول الخط كانوا أكثر جدلاً من غيرهم من الأمم الأخرى ﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ﴾ أنت تستهزئُ بنا! أنت تسخرُ منّا هذا ميت نريد أن نعرف من قتله تقول لنا اذبحوا بقرة ما علاقة بقرةٍ وما علاقةُ ذبح البقرة بهذا الميت ﴿ قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ

﴿أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لاحظوا الجواب ﴿قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ﴾ احتمي بالله أعوذُ إلى الله ﴿أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لماذا؟ لأن الاستهزاء والسخرية بهذا النحو إنما هي فرعُ الجهل ما قال أعوذُ بالله أن أكون من المستهزئين قال من الجاهلين لأن هذا الاستهزاء لو كان موسى يستهزئ بهم في مثل هذا الموقف هناك قتيل وهناك مشكلة اجتماعية وهناك مشكلة شرعية في هذا الموضوع، من الذي قتل؟ ما هو الحكم الذي يترتب على هذا الأمر؟ فكيف يكون موسى في مثل هذا الموقف في حال استهزاء بقومهِ فقال ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ لأن الذي يستهزئُ في مثل هذا الحال هو الجاهل وأنا لستُ جاهلاً ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ فرجعوا أيضاً.

في الروايات المروية عن الأئمة الروايات تقول لو أنهم ذبحوا أيَّة بقرة لَمَا احتاجوا إلى هذه التفصيلات التي أدت بهم إلى أن اشتروا بقرة بكل ما عندهم من الأموال، أموال كثيرة جداً دفعوها ثمناً للبقرة التي جاءت بأوصاف خاصة، الروايات تقول لو أنهم اكتفوا بكلام موسى لَمَّا قال لهم ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ لو جاؤوا بأيّة بقرة وذبحوها لتحقق الأمر لكنهم كانوا في نقاش أولاً دخلوا في هذا النقاش ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ فما ذهبوا وذبحوا بقرة ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ ما هي هذه البقرة؟ ما هي أوصافها لأنهم كأنهم هكذا قالوا اعتقدوا هكذا أن بقرة تُذبح بأمرٍ من الله ويؤخذ قسمٌ منها وهو أصلُ الذنب، أصلُ الذيل وبعد ذلك تتبين القصة بأي شيءٍ ضربوا ذلك القتيل؟ هم لَمَّا ذبحوا البقرة أمرهم موسى أن يأخذوا عَجْبَ البقرة عَجْبَ البقرة هو نهاية الذيل أصلُ الذيل فأخذوا أصل الذيل ضربوا بهِ القتيل فاحتيا رجع حياً وسألوه من الذي قتله فأخبرهم بأن الذي قتلهُ فلان وفلان.

﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ هذي بقرة لها خصوصية ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ سألوا ما هي هذه البقرة؟ ما هي أوصافها؟ ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ﴾ الله يقول ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ الفارض البقرة المُسِنة وفرضت البقرة يعني أسَنّت بقرةٌ فارض بقرة مُسِنّة كبيرة ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ ولا هي صغيرة ولا هي عجلة صغيرة ﴿عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ هي لا هي بالكبيرة ولا هي بالصغيرة وإنما هي في سن الوسط عوان ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ﴾ لا مُسِنّة

﴿ وَلَا بِكْرٌ ﴾ صغيرة ﴿ عَوَانٌ ﴾ هي وسطٌ بين ذلك ﴿ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ﴾ الآية السابقة بيّنت السن، بيّنت سن البقرة، ما لونها؟

﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ بقرة لونها أصفر وإن كان وقع في بعض التفاسير المراد من اللون الأصفر هو الأسود ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ لكن في عديدٍ من روايات أهل البيت كان لون البقرة هو اللون الأصفر ﴿ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا ﴾ فاقع اللون، الفاقع هو اللون الصافي وهذه الصفة صفة الفاقعية يُقال أصفر فاقع ويُقال أحمر فاقع في أغلب الأحيان يمكن أن يوصف أيُّ لونٍ من الألوان بأنهُ فاقع لكن في الغالب في لغة العرب يصفون اللون الأصفر واللون الأحمر بأنهُ فاقع وهذا أيضاً يُعين على أن لون البقرة كان أصفر وإن كان يمكن أن نصفَ اللون الأسود بأنهُ فاقع أيضا لكن في الغالب في كلام العرب حينما يصفون الصفرة أو الحمرة يصفون بأنها فاقعة ﴿ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ أيضاً عندنا في بعض الروايات قد يكون قرينة وإن كان خارج هذا المطلب في بعض الروايات على ما أتذكر في استحباب لبس النعل الأصفر الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام يقول بأن لبس النعل الأصفر فيه منفعة للبصر ويُشير إلى هذه الآية ﴿ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ أن فيه مَسَرَّةٌ للنظر فيه منفعةٌ للنظر هذا يؤيد الكلام بأن لون البقرة هو الأصفر وإن كان هناك قول بأنهُ أسود على أي حالٍ ﴿ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاء فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴾ فاقعٌ لونها يعني أن الصفرة صافية لا يخالطها لون، لونها أصفر أصفر.

﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ ﴾ هذه كل الأوصاف هذا الكلام يشير إلى حالة الجدل وإلى حالة عدم التسليم عند بني إسرائيل ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا ﴾ يعني هناك أكثر من بقرة موصوفة بهذا الوصف ﴿ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ ﴾ يعني هناك من الأبقار من هي في هذا السن، ولونها أصفر فاقع أيضاً هناك عديد من الأبقار بهذا اللون ﴿ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاء اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ﴾ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لاَّ ذَلُولٌ تُثِيرُ الأَرْضَ: لا ذلولٌ تثيرُ الأرض أنها ليست مذللة لحراثة الأرض يعني هي لا تستعمل

لحراثة الأرض لأن بعض الأبقار يستعملونها لحراثة الأرض وقطعاً إذا أرادوا استعمالها لحراثة الأرض لابد من تذليلها يعني من ترويضها وتعليمها على هذه العملية ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ﴾ يعني لم تُذَلّل، لم تُذَلّل لم تُرَوّض لحراثة الأرض ﴿إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ﴾ هي ليست ذلولاً تُثيرُ الأرض تحرثُ الأرض ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ ولا تستعمل كذلك في سحب الدوالي، الدوالي التي هي جمع دلو أو في عملية النواعير في عملية السقي ﴿وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ﴾ الحرث المزارع المكان الذي يحرث هو الحقل أو المزرعة ﴿مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا شية يعني لا نقطة فيها يعني لونها أصفر صافي لا يوجد فيهِ أي لون آخر، مُسَلَّمَة يعني لونها كامل مُسَلَّم ﴿لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ لا نقطةَ فيها ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ﴾ لأن هذه الأوصاف مجتمعة في بقرة واحدة من أبقار بني إسرائيل لا مُسِنّة ولا صغيرة لونها أصفر فاقع لا تستعمل للحراثة ولا للسقي ولا توجد نقطة في جسمها.

﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ما أن ذبحوها أمرهم نبيهم موسى بأن يقطعوا نهاية الذيل أصل الذيل ويضربوا بهِ هذا الميت ﴿قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ * وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ تدافعتم، قتلتم نفساً، عملية القتل هنا رجع الخطاب فيها لمن؟ للذين كانوا في زمان النبي صلى الله عليه وآله ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ ادَّارَأتم يعني تدافعتم هذا أتهم هذا وهذا أتهمَ هذا ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا﴾ أخذ بعضكم يتهم البعض الآخر ﴿وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ الله يُخرج الحقائق المكتومة بهذه الطريقة ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا﴾ اضربوا هذا الميت ببعضِ هذه البقرة بأصل ذيلها اضربوه بذيلها ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ هذه أيضاً يمكن أن تدخل في جملة مصاديق الرجعة لأن هذا الرجل الذي قُتل من بني إسرائيل مات ثم احتيا وبقي حياً وعاش مع زوجتهِ فترة طويلة كما تقول الروايات المروية عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

في الرواية إن موسى عليه السلام أمَرَهُ عَلَّمَ هذا الميت الذي احتيا أن يتوسل إلى الله بمُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما الأطهار في أن يُطيل الله عمره وأن يعيشَ مع أبنة عمه وأن يتزوج أبنة عمهِ وأن يعيش معها عيشةً راغدةً

هائئة هكذا تقول الروايات فَلَمَّا دعا الله سبحانه وتعالى بذلك وتوسل إليه بِمُحَمَّدٍ وعليٍّ وآلهما الأطهار كان لهُ ذلك، على أي حالٍ ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

ربما في هذه الحلقة أنا تجاوزت أكثر من صفحة من صفحات الكتاب الكريم لضرورة تسلسل القصة باعتبار أن القصة قصة البقرة جاء بعضُ آياتها في هذه الصفحة وآياتٌ أخرى لأجل إكمال القصة في الصفحة التي بعدها، هناك شيءٌ مهم أن هذه السورة الكريمة سورة البقرة سميت بهذا الاسم باسم البقرة بسبب هذه القصة لماذا ذُكِرت هذه القصة ولماذا سُميت السورة بهذا الاسم؟! ما هو السر في قصة البقرة؟

في الروايات الواردة عن أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين إن هذه البقرة كان يملكها شابٌّ من شباب بني إسرائيل والله سبحانه وتعالى أراد أن يجازيه لأن اليهود لَمَّا أمرهم موسى عليه السلام أن يذبحوا بقرة بهذه المواصفات فهم لم يجدوا بقرةً بهذه المواصفات إلا عند ذلك الشاب فلَمَّا جاؤوا إلى هذا الشاب كي يشتروا منه البقرة اشترطَ عليهم، اشترطَ عليهم أن يملئوا لهُ جلد ثورٍ من الذهب، فهم مضطرون إلى ذلك فاشتروا البقرة بهذه الكمية الهائلة من المال، وأيضاً في الروايات إنهم كانوا يأتون بالذهب يضعونهُ في جلد الثور هذا وكان الله سبحانه وتعالى يُكَبّر جلد الثور كان جلدُ الثور يكبر في الرواية عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام أنهم وضعوا فيه خمسة ألاف ألف يعني خمسة ملايين دينار، دينار ذهب وضعوا في جلد الثور، كان ثمناً لهذه البقرة التي بهذه المواصفات وقد أوحى الله سبحانه وتعالى إلى نبيه موسى لَمَّا سألهُ عن السبب في أن إحياء الميت لماذا كان بهذه الطريقة؟ عن طريق بقرة تُذبح! قال أريد أن أُغْنِيَ هذا الشاب، هذا طريق لإغناء هذا الشاب، لماذا أُغْنِيَ هذا الشاب؟

الروايات الشريفة ذكرت لنا أمرين بخصوص هذا الشاب: الأمر الأول بعض الروايات تحدَّثت أن هذا الشاب كان باراً بوالديه، كان باراً بوالدتهِ وبأبيه حتى ذكرت قصةً أن هذا الشاب كان عندهُ سلعة يريدُ بيعها فجاءهُ من يشتريها وأعطاهُ ثمناً كثيراً لهذه السلعة ثمناً مُربحاً لكن هذه السلعة كانت موضوعة في مكان وهذا المكان كان مُقفل، المفاتيح أين كانت؟ المفاتيح كانت تحت الوسادة التي كان ينامُ عليها أبوه فلمَّا جاء كي يأخذ المفاتيح وجد أباهُ نائماً فما أراد أن يوقظ أباه من نومهِ رحمةً بأبيه واحتراماً لأبيه وذهبت عليه الصفقة لَمَّا استيقظ أبوه من النوم سألهُ ماذا فعلت بتجارتك بسلعتك فقَصَ عليه القصة فأبوه قال لهُ عِوضاً عن هذا الشيء الذي خسرتهُ خُذ هذه البقرة فأعطاه عجلة، وبعد ذلك هذه العجلة كَبرت وصارت هذه البقرة، وأيضاً في الروايات عندنا، هذا جانب من الجوانب، أيضاً في الروايات عندنا وهنا إشارة إلى أهمية طاعة الوالدين وهذه القضية واضحة وإلى أهمية البر بالوالدين لكن هناك معنى أعمق الوالدان الحقيقان هم محمَّدٌ وعليٌّ صلوات الله عليهما وآلهما الأطهرين الأطيبين، في الروايات الشريفة إن هذا الشاب، إن هذا الشاب

كان يُكثِرُ من الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل محمَّد لأنهُ قد سمع ذلك من النبي موسى، لأن النبي موسى حَدَّثَهُم عن أهمية الاعتقاد بِمُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّدٍ وعن فضل الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل محمَّد، قد لا يقبل البعض مني هذا الكلام لكنني لا أعبأُ بمن لا يقبل بمثل هذا الكلام هذه روايات أهل بيت العصمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين روايات أهل البيت واضحة وصريحة في هذه المعاني التأكيد على قصة البقرة وعلى تسمية أكبر سورة من سور القرآن بهذا الاسم باسم البقرة لأن هذه القصة تُذَكِرُنا بالصلاة على محمَّدٍ وآل محمَّد لأن هذا الشاب كان يُكثِرُ من الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد، كما جاء في الرواية عن إمامنا الزاكي العسكري صلوات الله وسلامه عليه وهناك تفاصيل أخرى مذكورة لا أريد الإشارة إليها لأنني في مقام الإيجازِ والاختصار.

فالسرُّ إذاً في قصة البقرة والسرُّ في تسمية سورة البقرة بالبقرة هو الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وهذي القضية لمن أراد أن يتدبر في الكتاب الكريم قضيةُ بني إسرائيل من أراد أن يتدبر في الكتاب الكريم ويتدبر على نقاءٍ من النية ويحكِّم وجدانهُ ويُحَكِّم الإنصاف يجد أن سراً عظيماً وراء هذا الذكر والتكرار والتشديد والتأكيد على أحداث وتأريخ بني إسرائيل، الحقيقة أنا حين أراجع القرآن وأتابع مثلاً: أبونا آدم كم مرة ذُكِرَ في القرآن؟ وهو الخليفة البشري الأول الخليفة الأول هو أبو البشر، كم مرة ذُكر في القرآن؟ أبونا آدم جاء الحديث باسمهِ عن آدم يعني جاء الحديثُ باسم آدم عن آدم، 16 مرة، 16 مرة ذُكِرَ آدم عليه السلام، نعم ذُكِر الكلام القرآني جاء اللفظ القرآني أبني آدم في قصة أبني آدم قابيل وهابيل يا بني آدم، ذرية آدم، حدود تسع مرات يعني إذا أردنا أن نجمع 16 مع تسعة هذي خمسة وعشرين مرة ذُكِر أبونا آدم وليس كل الذكر فيها لأبينا آدم لأن تسع مرات الحديث عن ذرية آدم فأبونا آدم 16 مرة ذُكر. نوح عليه السلام وهو أبو البشرية الثاني ذُكر 43 مرة في القرآن الكريم. إبراهيم أبو التوحيد وديننا الإسلامي يمتدُ إليه يتصلُ بهِ جاء ذكرهُ في القرآن 69 مرة. عيسى عليه السلام جاء باسم عيسى 25 مرة وباسم المسيح ثمان مرات إذا جمعنا خمسة وعشرين وثمانية هذي 33 مرة. بشكل سريع أقول آدم 16 مرة، نوح 43 مرة، إبراهيم 69 مرة، عيسى 33 مرة، أما موسى كم مرة ذُكر في القرآن وذُكِرت معهُ أحداث بني إسرائيل 136 مرة، ما هو السرُّ في ذلك؟ 136 مرة جاء ذكر موسى وكلما يُذكر موسى يكون الحديث عن بني إسرائيل وبشكل مُفَصَّل يعني حتى الأنبياء الذين ذُكِروا مثلاً لَمَّا يُذكر إبراهيم ليس دائماً تُذكر معهُ قصص مفصلة لكن موسى في أغلب الأحيان إذا ذُكر تأتي معهُ تفاصيل كاملة عن بني إسرائيل لماذا؟

السرُّ هو هذا كما قلت، السرُّ أن بني إسرائيل الأُمَّة الوحيدة التي كُلِّفت بشكلٍ صريح وواضح وقطعي بالاعتقاد بنبوة نبينا وولاية عليٍّ والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وإن التدبر في جملة من المعاني التي جاءت في الكتاب الكريم التدبر في أن الله فَضَّلَهُم على العالمين بأي شيءٍ فَضَّلَهُم؟ التدبر في أن الله

فَضَّلَهُم على العالمين، التدبر في هذا العدد الضخم من المعجزات الهائلة الكبيرة التي جرت على بني إسرائيل الأحداث الهائلة والمعجزات الكبيرة التي ما رأت أُمَّة من الأمم مثلها أليس هذا يدلنا على أن هناك شيئاً تريد هذه المعجزات أن تجعل بني إسرائيل يعتقدون به إلى الحد الذي يُهددهم موسى كما مرَّ علينا في الآية وإذ رفعنا فوقكم الطور يُهددهم إما أن تؤمنوا بالميثاق أو أسقط عليكم الجبل، هذا العدد الهائل من المعجزات.

المسألة الثالثة العدد الكبير من الأنبياء أكثر أُمَّة الله سبحانه وتعالى بعث إليها الأنبياء هم بنو إسرائيل مع أنهم هم مجموعة قليلة من البشر بالقياس إلى بقية الناس هذا العدد الكبير من الأنبياء لأي شيءٍ؟ لإقامة الحجج عليهم ثم الوضع الذي كانوا يعيشونه الإسرائيليون حينما خرجوا من فلسطين وأين ذهبوا؟ ذهبوا إلى الحجاز لأي شيءٍ ذهبوا إلى الحجاز؟ لأي أمرٍ ذهبوا إلى الحجاز؟ البحث عن النبي، محاولات اغتيال النبي، وحتى إذا أردنا أن ندرس الحالة النفسية لبني إسرائيل بعد بعثة النبي إذا أردنا أن ندرس حالتهم بدقة نجد أنهم في حال اضطراب لا يعلمون ماذا يفعلون كانوا يتخبطون لأنهم كانوا يعيشون حالة من التناقض هم يعرفون أن هذا هو النبي الحق وفي نفس الوقت يحاولون أن يُضللوا أنفسهم ويُضللوا الآخرين لذلك هذا التأكيد الشديد على قضية تحريف اليهود للكتاب، تحريف اليهود للكتاب هو طمس هذه الحقيقة التي تدور عنها وحولها الآيات، فما هو بغريب أن تكون قصة البقرة مدارها وجوهرها الصلاة على مُحَمَّدٍ وآل محمَّد.

وأختمُ حديثي بالصلاة على مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد وألقاكم إن شاء الله على محبة وولاية مُحَمَّدٍ وآل مُحَمَّد أسألكم الدعاء جميعاً وفي أمان الله.

وفي الختام :

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقّة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع زهرائيون.

مع التحيات

المُتابَعة

زهرائيون

1433 هـ